

النَّشْرَةُ الشَّهْرِيَّةُ

مَجْمُوعَةُ الْمَخْطُوطَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

السنة الثالثة - العددان: الحادي والعشرون والثاني والعشرون، رجب وشعبان ١٤٤٠ هـ

مقدمة لنشرة مجموعة
المخطوطات الإسلامية
(عدد مزدوج 21-22)

د. محمد الطبراني

أستاذ التفسير وعُلُوم القرآن بجامعة القاضي عياض

إِلْمَاعٌ بِحَاصِلِ

د. محمد الطبراني^(١)

إن هي إلا عقودٌ خلت، لم يكن بمُسْطَاعِ الْعَالَمِ النَّظَّارِ أَنْ يَصِيرَ مُحَقِّقًا إِلَّا بِبِلَاغٍ مِنْ وَجَاهَةٍ أَوْ سُلْطَةٍ أَوْ مَالٍ... فَإِنْ كَانَ خَامِلًا - وَهُوَ الْغَالِبُ فِي مَنِّهَا هَاتِهِ صِفَتُهُ - ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهِي بِسُرَادِقِ مُصَمَّتٍ لَا نَفَاذَ مِنْهُ، فَكَيْفَ سَبِيلُهُ إِلَى نُسْخِ عَزْتٍ عَنْ مَرْمَى يَدِهِ، وَقَرَّتْ فِي عَيَابَاتٍ يَضِلُّ فِي الْإِهْتِدَاءِ إِلَيْهَا قَطًّا الْمَحْيِينَ - وَهُوَ أَهْدَى مِنْ كُلِّ دَلِيلٍ -، وَالْجَمَاءُ الْغَفِيرُ مِنْ أَضْرَابِ هَذَا قَضَى لُبَانَتَهُ مِنَ الْحَيَاةِ بِانْصِرَامِ أَجَلِهِ وَفِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ نُسْخِ رِوَادَتِهِ مَنَى تَحْصِيلَهَا حِجَجًا شَتَّى، فَتَأَبَّتْ وَكَانَتْ أَمْنَعَ مِنْ عُقَابِ الْجَوِّ. وَمُطَارِدَاتُ الْعُلَمَاءِ وَتَقْفِيهِمْ لَكُتُبِ بَعَيْنِهَا بِمَا صَرَّحُوا فِي تَقْدِمَاتِ كُتُبِهِمْ شَاهِدَةٌ بِمَا خَبَرَتْ طَبَقَاتٌ مِنْ قُدَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ بؤْسِ جَمْعِ النَّسْخِ.

وَأذْكَرُ إِلَى وَقْتٍ قَرِيبٍ أَنَّ الظَّفَرَ بِنَسْخَةِ عَزِيزَةٍ كَانَ كَافِلًا بِسُرْقَةِ النَّوْمِ مِنَ الْجَفُونَ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَالْعَبَثِ بِخَفَقَانِ الْقَلْبِ وَبِعْثِ الرَّجْفَانِ فِي الْفَوَادِ فَرَحًا وَسُرُورًا. وَلَمْ تَكُنْ فَنَاءً عَرِيضَةً الْيَوْمَ مِنْ حُدُثَانِ السَّنِّ لِتَفْهَمَ هَذَا وَلَا لِتَقْدِرَهُ قَدْرَهُ، مَعَ أَنَّ كَثِيرِينَ أَعْرَفُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَانُوا لِيَكُونُوا يَعْاسِبُ فِي هَاتِهِ الصَّنْعَةِ الشَّرِيفَةِ، لَوْلَا أَنْ صَرَّمُوا حَبْلَ الْمَخْطُوطِ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ، بِمَا نَابَهُمْ مِنْ عَقَابِيلِهِ وَقَوَاطِعِهِ، وَقَدْ سَمِعْتُ أَحَدَهُمْ مِنْ طَبَقَةِ الْمَشَايخِ - وَقَدْ يَمَّمُ بَعْدُ وَجْهَةَ النَّقْدِ وَالْفِكْرِ - وَهُوَ يَقْسِمُ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ سَبِيلَهُ أَبَدًا، وَقَدْ كَانَ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَخْطُوطِ طَلَبِهِ، بِتَسْوِيفِ مُرْهَقٍ، وَتَعَلَّاتِ عُنْكَبُوتِيَّةٍ، وَرَدِّ سَاطِئِ غَيْرِ حَلِيمٍ، وَنُدُوبِ مَخْلَفَةٍ فِي شِغَافِ قَلْبِهِ تَنَمُّ عَنْهَا مَرَارَةٌ حَكِيمَةٍ كَلَّمَا وَرَدَتْ عَلَى خَاطِرِهِ...

(١) جامعة القاضي عياض، مراكش.

وَأَنافَ عَلَى قَصْدِ التَّاسِيْسِ، مَا تَحْصَلُ بِالْيَدِ مِنْ سَعْيِ عُنَاصِرِ الْمَجْمُوعَةِ فِي خِدْمَةِ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ، إِمْدَاداً وَإِسْعَاداً: دَلَالَةً عَلَى مَعْنَى، أَوْ تَحْصِيلاً لِمَخْطُوطٍ، أَوْ تَصْوِيرِ الْكِتَابِ، أَوْ تَنْبِيْهًا عَلَى نَقْدٍ، أَوْ اسْتِلْحَاقًا لِفَائِتٍ، أَوْ جَمْعًا لِمَفْتَرِقٍ، أَوْ بَدْلًا لِمَشُورَةٍ، أَوْ حَوَالَةٍ عَلَى خَبِيرٍ، أَوْ رَدًّا لِمَا طَاشَتْ بِهِ الْأَخْلَامُ... وَهِيَ غَنَائِمٌ سَلِمٌ لِمَ يَقَعُ الْإِيْجَافُ عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، وَقُطُوفٌ دَانِيَةٌ لِمَنْ أَدْرَكَتْهُ حُرْفَةُ الْأَدَبِ، وَقَدْ أَتَى عَلَى مَنْ رَامَ التَّحْقِيْقَ حِيْنَ مِنَ الدَّهْرِ، وَمَالَهُ مِنْ مَلْجَأٍ يَأْوِي إِلَيْهِ، أَوْ مَدْرَسَةٍ يَرْتَادُهَا، أَوْ مَعْهَدٍ يَلْتَحِقُ بِهِ، أَوْ رُكْنٍ شَدِيدٍ يَأْرِزُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ هُمْ يُبْتَعَثُ الْعَزْمُ فِي حَنَائِيَاهُ فَيُسَلِّمُهُ إِنْ وُفِّقَ إِلَى التَّحْقُقِ بِالصَّنْعَةِ كِفَاحًا، يَجُوسُ خِلَالَ الْكُتُبِ يَرْتَادُ مَعَالِمَهَا تَارَةً، وَيُضْحَبُ تَارَاتٍ أُخْرَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ تَعَلَّةً أَنْ يُفْضِيَ إِلَيْهِ فِيهَا بِمَكْنُونٍ أَوْ سَرٍّ:

فَمَا كُلُّ ذِي نُصْحٍ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَيْبٍ

وَمِنْ أَعْلَامِ الْمَجْمُوعَةِ مَنْ طَعَنُوا فِي عَمْرِ الْإِسْتِغَالِ، وَصَنَعُوا لَهُمْ نَامُوسًا فِي التَّحْقِيْقِ، وَعَزَّ لِقَاهُمْ أَوْ مَا يَنْوِبُ مِنْابِهِ، فَهِيَآ سَبُوعَ التَّدَانِي مِنْهُمْ التَّنَامُ الْجَمْعِ الرَّقْمِي، وَجِهَالَةٌ لِّلْبَعْضِ هِيَ فِي حَكْمِ التَّعْرِيفِ، بِمَا يَسَّرَتْ مِنْ طَرَحٍ فُرُوقِ السَّنِّ وَالصِّفَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَلْقَابِ الرَّسْمِيَّةِ، حَتَّى لَرَبَّمَا سَأَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ غَيْرَهُ عَلَى الْخَاصِّ، وَهُوَ يَخَالُ الْمَسْئُورَ شَيْخًا وَمَا هُوَ بِشَيْخٍ، وَلَوْ كَشَفَ عَنْهُ بِالتَّفْتِيْشِ أَوْ غَيْرِهِ، لِأَفْضَى نَجِيْثٌ بِحَيْثُ إِلَى أَنَّهُ مِنْ أَتْرَابِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ طَبَقَةِ تَلَامِيْذِهِ.

هَاتِهِ نُبْدٌ مِنْ مَبَاهِجِ الْمَجْمُوعَةِ، سُقَّتْهَا لِلاِسْتِصْحَابِ تَذْكَرَةً لِلْمُؤْتِسِي، وَضَنَانَةً بِحِمَاهَا أَنْ يَرْتَعِ فِيهِ بَاغٌ أَوْ غَافِلٌ، وَمَنْ اللّٰهُ نَسْتَمِدُّ الْهَدْيَ، وَإِيَّاهُ نَسْتَعِيْذُ مِنَ الضَّلَالَةِ.

وَكُتِبَ بِمِرَّاكِشٍ، حَامِدًا وَمُصَلِّيًا مُحَمَّدَ الطَّبْرَانِي (الْحَسِينِي الصَّقْلِي) كَانَ

اللّٰهُ لَهُ.



د. محمد طه العناني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن، جامعة القاضي عياض

tabarany.com

twitter.com/oknda1osdqmhbj

